مقتطفات من كتاب

على الاثير

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

كلمة تقديم

كان يقال : كلام ذاهب فى الهواء ، ليقال إنه كلام لا يبلغ الآذان ، وإنه – من باب أولى – لا يسلك سبيله إلى الأذهان .

ولكن الكلام الذى تتلقاه الأذهان من طريق الهواء فى زماننا هذا أكثر وأسير من كل كلام يتلقاه الناس ، على صفحة قرطاس .

فمن أودع كلامه الهواء أودعه فى أمان . إلا من الزمان .. فعنده الحكم وحده فى مصير الوديعة .. من حفظ أو نسيان .

وقد أودعنا الهواء هذه الكلمات فى وقت من الأوقات .

وبقى أن نودعها أيدى الزمان ليقضى لها بما شاء ، على هوى القراء .

ولعلها لا تضيع بين الهوى والهواء .. !

عباس محمود العقاد

لكن محمدًا عبده له شأن بجميع هؤلاء ، وعند ظنهم جميعًا ، وفوق ما يظنون ويرتجون . فلا يعرف النوم وبين يديه حاجة ضعيف أو مظلوم ، ولا يبخل بوقته ولا بجاهه ولا بماله ولا بشىء فى مستطاعه لإحقاق حق وإدحاض باطل .

رضى الله عنه : ما سمعت قط بنظير له فى هذا الباب .

ونحن اليوم نتكلم عن الواجبات والمروءات واحتمال المسئوليات ، ونبدئ فيها ونعيد حتى أصبح اعتقادها على الأقل شيئا من المألوفات التى لا تقع من الأسماع موقع الاستغراب .

إلا أننا خلقاء أن نرجع إلى زمان محمد عبده لنعرف له فضله . وأن ننسى أيامنا هذه ولا نذكر إلا أيامه هو ، لكى نحسن الوزن والقياس .

ففى أيامه كانت كلمة « أنا مالى » شعار كل مصرى فى كل طبقة من طبقات الأمة .

وكان المرء يوشك أن يسأل عن الحسنة فينكرها ، مخافة أن يكون وراء السؤال حساب أو عقاب .

فى تلك الأيام كان الهرب من الواجب عنوان الحكمة والحصافة .

وفى تلك الأيام كان محمد عبده يتصدى للواجب الذى لا يسأله عنه أحد . ولا يحاسبه عليه أحد ، ولا يجهل ما وراء تصديه له من بلاء وعناء .

وأعجب ما انطبع عليه الرجل من هذه السجية النبيلة أنه كان يقبل التبعة التى لا يد له فيها ، ترفعًا منه عن موقف النصول والنكول ، فكان يشتد فى تخطئة العرابيين قبل إدبار دولتهم ، ثم أمسك عن نقدهم يوم أدبرت بهم الدولة وبطلت الفائدة من نقدهم وأصبحت فائدة النقد كلها للناقدين .

والرأى عندنا أن صفة المصلح العظيم تضع الأستاذ الإمام فى موضعه الصحيح بين زميليه ، وأحدهما أستاذه والثانى إمام مريديه .

فهؤلاء الأعلام الثلاثة على اتفاقهم فى بعض الخصال – يختلفون فى أساس الاستعداد .

فجمال الدين هو الداعى العظيم .

وسعد زغلول هو الزعيم العظيم .

ومحمد عبده هو المصلح العظيم .

ولكل مهمة من هذه المهام الكبرى كفاءتها الخاصة التى لا تغنى فيها كفاءة غيرها .

وأخطر الأكاذيب فى الدنيا ظن الناس أن الكذب لا ينجم بينهم إلا لضرورة من ضرورات المنفعة دون غيرها ، وهى ضرورة الخوف من الخطر والعقاب وضرورة الرغبة فى الثواب أو الخير والثناء . فإن الناس يكذبون حين لا يخافون ولا يرغبون ، أو يكذبون كراهية للواقع وحبًا للخروج منه ، سواء من باب المقال أو من باب الأعمال .

اتفق الناس على يوم يكذبون فيه ولم يتفقوا على يوم يلتزمون فيه الصدق ولا يفوهون بما ينقضه أو يخفيه . لأن الاتفاق على الكذب أسهل من الاتفاق على الصدق ، خلافًا لما قال ذلك الأديب .

وموضوع حديثنا الليلة – رجل تتلخص عظمته كلها فى كلمة أو كلمتين : الجاذبية أو من شاء فليسمها المغناطيسية الشخصية .

ذلك الرجل هو السيد جمال الدين الأفغانى،معلم المعلمين وطليعة المعلمين فى الشرق الحديث،وباعث نهضته الحاضرة فى كثير من الأقطار .

فلولا المغناطيسية الشخصية ما كان أثر جمال الدين بالغا أشده فى فارس ومصر والهند وتركيا دون غيرها من البلدان الشرقية ، لأنها هى البلدان التى عاش فيها بشخصه واتصل فيها بتلاميذه .

ولولا المغناطيسية الشخصية ما كانت قوة جمال الدين بادية كلها فيمن خلفهم من المريدين لا فيما خلفه من الكتب والصفات .

ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان جمال الدين قادرًا على أن يظهر فى البلد الذى ينزل به بعد أسابيع قليلة من وصوله إليه ، مع ما نعلم من العقبات الجسام التى تحول بين الرجل وبين الظهور فى بلد غريب .

ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان الملوك والامراء يقبلون من جمال الدين أن يخاطبهم فى قصورهم مخاطبة الند للند والزميل للزميل ، وما عرف عن جمال الدين قط أنه خاطب خليفة آل عثمان ولا وريث عرش القياصرة ولا شاه الشواهين ولا أمير وادى النيل إلا كما يتخاطب الأنداد والزملاء .

ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان جمال الدين مستطيعًا أن يجوب الآفاق بغير مال ؛ لأنه كان إذا احتاج إلى المال فى رحلاته الكثيرة أمر بعض مريديه من الموسرين أن يحملوا إليه كفايته منه ، فلا يعصى له أمر ولا ترد له رغبة .

بيد أن رجلا له مثل ما كان لذلك الرجل من العزة والمهابة والطموح – خليق أن يثير الحسد والعداوة حيث كان ، فيكثر حوله الأعداء كما يكثر حوله الأنصار ، ويفرط أعداؤه فى بغضه كما يفرط أصدقاؤه فى حبه ، فلا يطمع من هؤلاء ولا من هؤلاء فى اعتدال وحسن تقدير .

وهذا ما حدث فى تاريخ جمال الدين بين مبغضيه ومحبيه . فغلا أعداؤه فى التشهير به حتى أنكروا عليه كل دعوى وأرابوا الناس من أمره فى كل صفة ، فلم يكفهم أن اتهموه بادعاء الشرف والنسبة إلى النبى حتى قالوا إنه لم يولد مسلمًا وأنه غير مختون !! وزادوا فزعموا أنه أجير المستعمرين وما قضى حياته كلها إلا فى كفاح المستعمرين .

وغلا أصدقاؤه فى تقديسه حتى نسبوا إليه كل علم ، وأضافوا إليه كل مأثرة ونفوا عنه كل ملامة ، وليس أصعب من ترجمة رجل تخلص إلينا أخباره من خلال هذا الغلو فى العداء .

أو الغلو فى الإعجاب . لكننا نستطيع على الرغم من الإفراط فى قدحه ومدحه أن نجزم بحقيقة واحدة هى أم الحقائق فى شأنه ، وتلك أنه رجل عظيم . بل لعلنا لا نعرف شيئا يدل على كنه العظمة فيه كما يدل عليه هذا الغلو الشديد بين الفريقين ، فإن العظيم الحق من يغلو أصحابه فى حبه ويغلو أعداؤه فى مقته ، وقلما تقارب الناس فى وصف إنسان إلا أن يكون من الأوساط الذين يهون خطبهم على الأصحاب كما يهون خطبهم على الأعداء .

وقد لاحظ عليه رئيس التشريفات فى المابين الهمايونى مرة أنه يلعب بحبات مسبحته فى حضرة السلطان ، فأجابه محتدًّا : سبحان الله ، إن السلطان يلعب بحياة ثلاثين مليونا من الأرواح الآدمية .. أفلا يحق لجمال الدين أن يلعب بثلاثين حبة من الكهرمان ما يشاء ؟ !

ولما كان فى بطرسبرج زارها شاه العجم فطلب لقاءه فلم يلتفت جمال الدين إلى طلبه لأنه كان سيئ الظن به وبوزرائه ، ثم استفحل خطب هذه النقمة بعد أن تلاقيا وذهب جمال الدين

إلى فارس ثم خرج منها مغضبًا مشيعًا بالتشهير والهوان .

فلما اشتدت على الشاه حملاته ولذعاته أرسل إلى سفيره فى الآستانة ليلقى السلطان عبد الحميد ويرجوه أن يأمر جمال الدين بالكف عن تشهيره ، فكان جوابه للسلطان « إننى امتثالا لأمر الخليفة قد عفوت شاه العجم ! قد عفوت شاه العجم ! » فقال السلطان:« بحق يخاف منك شاه العجم خوفًا عظيمًا ».

هذه الأكذوبة رذيلة خالية من كل حسنة تزكيها حتى حسنة البراعة فى اختراعها . لأن البراعة فى اختراعها من عمل الذكاء لا من عمل الأكذوبة أو الخديعة . فالذكاء هو المحمود على كل حال ، وليس الحمد للكذب أو للخداع .

يقول الأديب الإنجليزى صمويل بتلر : « كل مغفل قادر على أن يخبر بالحق . ولكن لابد للرجل من نصيب من الفطنة ليحسن الإخبار بالكذب .. » .

ولكننا نود أن نتخيل يومًا يتفقون فيه على الصدق الذى يكتمونه فى سائر الأيام . ثم يعقدون المقارنة بين جرائر ذلك اليوم وجرائر أول أبريل ... فأى اليومين يظفر بالرضا وحسن الأحدوثة ؟ وأيهما يتفقون بعد ذلك على تكراره .

لا إخالنى أكذب إذا قلت : إن الاتفاق على تكرار أول أبريل أقرب من الاتفاق على تكرار ذلك اليوم المخيف : يوم الصدق الكاشف والحق المبين .

ذلك ظن صادق لا إثم فيه ، وهو كذلك لا يعيب الحق ولا يعيب الطبائع الإنسانية . لأن الناس لا يتقون ذلك اليوم « المخيف » كراهة منهم للحقيقة نفسها ، بل كراهة لما تظهره الحقيقة من العيوب والأسرار . والناس يحبون النور جدًّا ولا يكرهونه فى وقت من الأوقات ، ولكنهم إذا حذروا من الفضيحة أطفَئوا المصابيح أو تواروا بالحجاب ، كراهة منهم للفضيحة لا كراهة للنور .

وهكذا يستريح الإنسان إلى تمويه الحقائق وتجميل الظواهر والتفريج عن النفس بالخروج من الواقع الذى يثقل عليه . ولكنه لا يستغنى أبدًا عن النور ... وإن خافه أو توارى منه فى وقت من الأوقات .

يقول الرياضى الكبير « أوليفر لودج » ليس من الحكمة أن تهتم القوانين بمن يحمل السلاح ، ولا تهتم بمن يحمل المال ، وهو سلاح أخطر من كل سلاح .

فخلاصة ما أصف به الثقافة أنها هى ترويض الوظائف الإنسانية على استيفاء نصيبها من الحياة الفضلى : وما أكثر الوظائف الإنسانية ! وما أعظم الأنصبة فى الحياة ! وما أعجب الوسائل التى تتوسل بها إلى استيفاء كل نصيب منها .

أليس طفلا بهذا المعنى ذلك الرجل الذى لا يفعل الحسن الجميل إلا وهو ينتظر الأجر عليه ؟ ولا ينتهى عن العيب الذميم إلا وهو يخشى ما وراءه من عقاب ؟

فالأمم فى هذه الخصلة قسمان : أمم الأطفال وأمم الرجال :

أمم الأطفال هى الأمم التى تعودت أن تطلب الجزاء وراء كل نصيحة ، فإذا قام فيها المصلح الأمين شكت فيه ولم تفهم ما يريده إلا إذا وقع فى روعها أنه ينتظر الجزاء فى الدنيا والآخرة ، إما بالثناء وإما بجنات النعيم ، وهى تفهمه إذن على قدر ما تتصور من جزائه وجزائها ، لا على قدر الكمال الذى يدعو إليه ولا على قدر التمييز بين الصواب والخطأ وبين الرجولة والطفولة .

أما الأمم التى ارتفعت فى مراتب الرجولة فهى لا تستريب فى المصلح الأمين لأنها لا تجهل فائدته وجزاءه ، ولا يهمها إلا أن تميز كلامه لتعرف موقع الصواب فيه ، فإذا كان صوابًا اتبعته وإن كان عظيم الكلفة عليها ، وإذا كان خطأ أنكرته وإن كان محببًا إليها وميسورًا لديها . كما يفعل طالب الصحة حين يميز بين الطبيب الصادق والطبيب الكاذب ، فيصغى إلى الطبيب الصادق وإن أمره بترك اللذيذ من الطعام وشرب الكريه من الدواء ، ويعرض عن الطبيب الكاذب وإن وصف له ما يرضيه ومَوَّه عليه فى حقيقة ما يشكوه .

فمنذ سنوات دار النقاش بينى وبين الأستاذ الزهاوى رحمه الله حول هذا الموضوع ، فغنى هو قصيدته للعقل وغنيت أنا قصيدتى للعاطفة ، وإن كنت لا أعنى بذلك إنكار العقل وإنكار حاجتنا نحن الشرقيين إليه .

وكانت أيامها أيام الطيار الأمريكى لندبرج وقفزته الجريئة فى عبور المحيط الأطلسى فى أربع وعشرين ساعة . فراح الأستاذ الزهاوى يسألنى : بماذا عبر لندبرج المحيط الزاخر ! بالعقل أم بالعاطفة !!

قلت : بل بالعاطفة ... وبالعاطفة أيضًا اخترعت الطيارة وبالعاطفة جاشت النفوس حتى ضاقت بها آفاق الحياة فنهضت نهضتها وطمحت طموحها ، واخترعت ما اخترعت من الطيارات والسيارات وغيرها من المخترعات .

وأين هو العقل الذى يقول لفتى فى سن لندبرج : قم يا هذا فجازف بحياتك ومصيرك من أجل تجربة واحدة فى عبور المحيط ؟

إن ابتسامة واحدة ينتظرها لندبرج من إنسان يحبه أو يعجب به أو يود أن يكون فخرًا له ، لقد أقنعته سلفا بعبور المحيط الذى لا تقنعه بعبوره ملايين العقول ، وما مكان العقل هنا إلا مكان المنفذ أو الخادم الذى أمره السيد فأطاع . ولن يطلب الخادم أبدًا فوق الذى يطلبه السيد بحال من الأحوال .

الحقوق والواجبات

إذا كثرت المطالبة بالحقوق . قل العمل بالواجب .

ولا صعوبة فى تفسير هذه الحقيقة الواضحة ، لأن البلد الذى يعمل فيه كل إنسان واجبه لا يضيع فيه حق من الحقوق ، ولا تدعو فيه الحاجة إلى المطالبة بها أو الشعور بنقصها .

فإذا رأينا بلدًا يكثر فيه المطالبون بحقوقهم فخير ما تنفع به ذلك البلد أن تذكره بواجباته ، وأن تكرر له حكمة واحدة يقرؤها فى كل مكان ويسمعها فى كل مناسبة ، وهى « عليك بالواجب ودع الحقوق تسعى إليك بغير عناء » .

ولعل أنسب الأوقات للكلام على التضحية هى أوقات الحروب وأوقات ما بعد الحروب .

لأن الناس يجمعون بين النقيضين فى هذه الأوقات ، فيضحون بالأنفس والأبناء والأموال فى ميادين القتال ، ويفرطون من جهة أخرى فى الجشع والتكالب على الربح الحرام ، حتى يهون على أحدهم أن يجازف بأرواح الملايين ليساوم على الغذاء والكساء ، ويبيع الدواء بأفحش الأثمان فى الأسواق السوداء .

وأعجب العجائب هذه الصورة المتناقضة التى تعرضها الحروب للطبائع الإنسانية فى وقت واحد .

والصعوبة الثانية أن الرجل الذى يفاضل بين قصائده كالرجل الذى يفاضل بين أبنائه وبناته ، وليس الأب - فى أكثر الأحيان - خير حكم بين ذريته ، فإنه قد يعطف على الضعيف منهم ويترك القوى لشأنه مستغنيا عن عطفه و حنانه .

كل أزمة نفسية تعترى الشعوب تأتى من حيرة وتشفى بإيمان ، وكل إيمان يقوم على الوهم وحده مخفق فيما يدعو إليه . فلابد من التوفيق بين الإيمان ومطالب الأوان . ولو كان الإيمان مما استقر به اليقين فى زمن قديم .

وتعجبنى أبيات جميلة للشاعرة الأمريكية « الن هوبر » تقول فيها : نمت فحلمت بأن الحياة جمال ، وصحوت فرأيت أن الحياة واجب وجهاد . أكانت رؤياى إذن أكذوبة من أكاذيب الظلال والأطياف ؟ .. كلا . بل جهادًا أيها القلب الحزين وشجاعة فى الجهاد . وإنك لعلى يقين أنك واجد ذلك الحلم حقيقة ماثلة لك فى ضياء النهار .. » .

وشاعرنا الكبير - أبو الطيب - يسبق إلى هذه الحقيقة بأسلوبه الفحل حيث يقول :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائم

فإذا شكا الأقوياء من الواجب الكبير فعزاؤهم أنهم أقوياء ، وإذا شكا الضعفاء من الضعف فعزاؤهم أنهم قليلو الأعباء .

والواجب مقامات .

والناس كذلك مقامات .

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355